أثر أمن اللبس في الرتبة النحوية

د. محمد خالد الرهاوي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

Uluslararası Din Bilimleri Çalıştayı
Iğdır, 30 Aralık 2017: 411-421
Doi: http://10.29355/iuif.2018.25

أثر أمن اللبس في الرتبة النحوية

محمد خالد الرهاوي[1]

من المعلوم أن الكلم العربي اسم وفعل وحرف[2]، وأن الغرض من اللغة إيصال المعاني، لكن هذه الأقسام الثلاثة لا تستطيع أن تقوم بهذه الوظيفة ما لم تحل في مواضع محددة، وتنتظم وتترابط فيما بينها بعلائق وأسباب. فـ"لا نظمَ في الكلمِ ولا ترتيبَ حتى يَعْلقَ بعضُها ببعضٍ، ويُبْنى بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهلُهُ عاقلٌ، ولا يخفى على أحدٍ منَ النّاس. وإذا كانَ كذلك فَبِنَا أن ننظرَ إلى التَّعليق فيها والبناءِ وجعلِ الواحدة منها بسببٍ من صاحِبَتِها ما معناهُ وما محصولُه؟ وإذا نظْرنا في ذلك علمْنا أنْ لا محصولَ لها غيرُ أن تعمدَ إلى اسمٍ فتجعلُه فاعلاً لفعلٍ أو مفعولاً، أو تعمدَ إلى اسمين فتجعلُ أحدَهُما خبراً عنِ الآخر، أو تُتبعُ الاسمَ اسماً على أن يكونَ الثاني صفةً للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه، أو تجيءُ باسمٍ بعدَ تمامِ كلامِكَ على أن يكونَ الثّاني صفةً أو حالاً أو تمييزاً، أو تتوخَّى في كلامٍ هو لإثباتِ معنىً أن يصيرَ نفياً أو استفهاماً أو تمنياً، فتدخِلَ عليه الحروفَ الموضوعةَ لذلك، أو تريدَ في فعلينِ أن تجعلَ أحدَهُما شرْطاً في الآخر، فتجيءَ بهما بعدَ الحرفِ الموضوع لهذا المعنى أو بعدَ اسمٍ منَ الأسماءِ التي ضُمِّنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس"[3].

بيد أن هذين؛ الحلول والانتظام محكومان بضابط أمن اللبس وبغيره مما يدور في فلكه، والخروج عليهما أيضاً له ضوابط تحكمه، ولا تعني هذه الضوابط أنها قيود صارمة على الكلمات بمقدار ما تعني نظاما تسير عليه ليعصمها من الفوضى والاعتباطية، فحرية الكلمات في التنقل والتقديم والتأخير تعطي التراكيب مرونة وحيوية من دون أن تخرج

[1] Dr. Başakşehir Arapça ve İslami İlimler Merkezi

[2] قال ابن مالك: ... واسمٌ وفعلٌ ثمَّ حرفٌ الكَلِم

[3] من كلام عبد القاهر في دلائل الإعجاز ص 55

شبكة الألوكة - قسم الكتب

على هذه الضوابط، وإن كان من العسير جداً وضع ضوابط نهائية تضبط اللغة؛ لأن اللغة أعم من القواعد والضوابط، وما القواعد والضوابط إلا طريق موصلة إلى تعلمها وفهمها، وإذا كان هذا عسيرا في باب النحو فهو أعسر في باب المعاني، فلا يمكن أن يضبطها ضابط؛ لأنها متجددة.

والسبب في حكم الرتبة وغيرها بضابط أمن اللبس أنَّ حد اللغة كما قال ابن جني أصواتٌ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[4]، وما دام الأمر كذلك فلن تستطيع اللغة الملبسةُ التعبيرَ عن هذه الأغراض، ولن يستطيع المخاطب التواصل أو التفاهم مع المتكلم أو التفاعل مع لغته وكلامه، وقد أدرك النحاة ذلك، فاشترطوا في كل ما قرروه أن يؤمن اللبس، وهو ضابط مهم إن لم يكن أهم ما حرصوا عليه في أبواب النحو كلها لا في التقديم والتأخير فحسب، وما كان هذا إلا من قبيل المحافظة على وضوح المعنى وجلائه[5]؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح وسيلة للتعبيرِ عن الأغراض الخاصة وللتفاهم والتخاطب مع الآخرين. يقول تمام حسان :"إن اللغة العربية- وكل لغة أخرى في الوجود- تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خلقت[6] اللغات أساسا للإفهام، وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية"[7]. فالمتكلم إذا أراد إفهام المخاطب مقاصدَه =فإنه يجعل ألفاظه منظومة على ترتيب معين يتبع ترتب المعاني في نفسه[8]، ويدل عليها بها على نحو لا يكون للبس فيه مجال، لذلك قال ابن مالك[9]:

وإن بِشكلٍ خِيفَ لبسٌ يُجتنب .....

ويقول السيوطي:" اللبس محذور، ومن ثَمَّ وضع للبس ما يزيله إذا خيف واستغني

---

[4] الخصائص 33/1

[5] يرى ابن الحاج أنَّ العربَ لها غرضٌ في الإلباس أحياناً كما أنَّ لها غرضاً في البيان. انظر: شرح ابن عقيل 487/1 ورد الشيخ محيى الدين عليه. ويؤيد صحة ما قاله ابن الحاج أن العرب تحذف أحياناً لغرض الإبهام كما في حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول أحياناً. انظر: الارتشاف 1325

[6] بل: وضعت، لا " خلقت".

[7] اللغة العربية معناها ومبناها ص 233 . أقول: وهذا الفهم تؤديه التراكيب بحسب ما قرره النحاة، أما الاستعمالات الفنية والنفسية فيتناولها علم المعاني في إطار نحوي ولا يخرج عنه أبداً.

[8] يقول عبد القاهر:" ...بانَ بذلك أنَّ الأمرَ على ما قُلناه من أنَّ اللفظَ تَبَعٌ للمعنى في النَّظم، وأنَّ الكلمَ تترتَّبُ في النُّطقِ بسبب ترتُّبِ معانيها في النَّفس، وأنّها لو خَلَتْ من معانيها حتى تتجرَّدَ أصواتاً وأصداءَ حروفٍ لما وقَع في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ أن يجبَ فيها ترتيبٌ ونظمٌ، وأن يُجعلَ لها أمكنةٌ ومنازلُ، وأنْ يجبَ النُّطق بهذه قبل النطق بتلك. دلائل الإعجاز ص55-56

[9] شرح ابن عقيل 505/1

عن لحاق نحوه إذا أمن"[10]. وممَّا وضع له الإعرابُ والرتبةُ النحوية والتعريف والتنكير والحذف وغير ذلك، فالإعراب وضع في الأسماء والفعل المضارع ليزيل اللبس الحاصل فيهما في المعاني المختلفة، فحركات الإعراب إنما هي أعلامٌ على تلك المعاني ودوالٌّ عليها، ولذلك التزم العربُ والنحاةُ بها، وحرصوا عليها كل الحرص إلى درجة أن صار النحو يعرف بعلم الإعراب، لكنهم لمَّا أمنوا لبس المعنى خرقوا القواعد، وهدروا تلك الحركات، فأجازوا:

1. القلبَ في نحو خرق الثوبُ المسمارَ، وأدخلت الخاتم في إصبعي.
2. الجر على المجاورة نحو هذا جحر ضب خرب[11].
3. القطع في النعت نحو مررت بزيد الكريمُ[12].
4. العطف على اسم "إنَّ" بالرفع قبل استكمال الخبر نحو: فإنّي وقيارٌ بها لغريبُ[13].
5. العدول عن الإعراب. ولذلك قال ابن مالك[14]:

وَرَفْعُ مَفْعُولٍ بِهِ لاَ يَلْتَبِسْ مَعْ نَصْبِ فَاعِلٍ رَوَا فَلاَ تَقِسْ

بل عدَّ ابن هشام ذلك من ملح كلامهم عند أمن اللبس حيث قال:" من مُلَح كلامهم تقارضُ اللفظين في الأحكام، ولذلك أمثلة..... والثامن إعطاءُ الفاعل إعرابَ المفعول وعكسُه عند أمن اللبس كقولهم خرقَ الثوبُ المسمارَ وكسر الزجاجُ الحجرَ، وقال الأخطل[15]:

مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَدَّاجُوْنَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانَ أَوْ بَلَغَتْ سَوْءاتِهِمْ هَجَرُ

وسمع أيضا نصبهما كقول العجاج[16]:

قَدْ سَالَمَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا الأُفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

---

[10] الأشباه والنظائر 337/1

[11] انظر:الكتاب 436/1-437، ومعاني الأخفش 15/1 و82 و277، والخصائص 191/1-192 و171/2 و220 ، وأسرار العربية ص299-300، والإنصاف 92/1 و607/2 و615، وشرح الكافية 328/2، والارتشاف 1912/4

[12] الارتشاف 1926/4

[13] عجز بيت لضابيء بن الحارث البرجمي في: الكتاب 75/1، ومعاني الأخفش 88/1

[14] شرح الكافية الشافية ص 612

[15] شعر الأخطل 208- 209 ق19 ب76/1 ، ب71/2

[16] ديوان العجاج 333/2 ق69/ب25-26، ونسب لغيره. انظر تحقيق ذلك في: غنية الأريب ص 494

... وسمع أيضا رفعهما كقوله:

إِنَّ مَنْ صَادَ عَقْعَقاً لَمَشُؤْمُ كَيْفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَانِ وَبُوْمُ "[17]

أما أثر "أمن اللبس" على الرتبة النحوية فيبدو في ثلاثة أمور:

أولاً: المحافظة على الرتبة النحوية عند خشية اللبس: فاللبس قيد على حرية الكلمات بالتنقل؛ لأنه يجبرها على لزوم رتبها النحوية، وذلك عند عدم ظهور المعنى ووضوحه لفقدان القرينة المعينة له، ويظهر ذلك من خلال مسائل كثيرة، منها[18]:

1. التباس المبتدأ بالخبر نحو: أخي شريكي.
2. التباس المبتدأ بالفاعل نحو: زيد نجح.
3. التباس الفاعل بالمفعول نحو: ضرب موسى عيسى.

بل يلزمها أحيانا على مخالفة الرتبة حفاظا على وضوح المعنى، كما في قولنا: في القاعة طالبٌ، إذ لو تقدم المبتدأ لالتبس الخبر بالصفة.

ثانياً: تشويه الرتبة النحوية عند اللبس: وأكثر ما يبرز ذلك في الفصل بين المعمولات بالمفرد حيث تحل المفردات في غير رتبها على نحوٍ يفسد نظم الكلام وتأليفه، فتتداخل المعاني وتلتبس، فيضطر السامعُ لكي يفهمها إلى أن يعيد هندسة بنائها، وترتيب أوضاعها من خلال تقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير، وترتيب الألفاظ في الذكر تبعا لترتب المعاني المقصودة في الفكر[19]. انظر كيف جاءت الرتبة النحوية ملبسةً مشوهةً في قول الشاعر:

فأصبحتْ بعدَ خطَّ بهجتها كأنَّ قفراً رسومَها قلمَا[20]

ثالثاً: العدول عن الرتبة النحوية ونقضها عند أمن اللبس:[21] لتأدية معنى لا يكون معها على الأصل، وذلك عند أمن اللبس وظهور المعنى ووضوحه لظهور القرائن، فتكون الرتبة النحوية مرنة بضوابط، ويُخرج عليها بضوابط؛ لأن المرونة والحرية لا تعني

---

[17] مغني اللبيب 915/2 و917-918، وغنية الأريب ص 494

[18] انظر: الأشباه والنظائر 292/1-295 فقد نقل السيوطي أقوالا كثيرة في ذلك.

[19] أسرار البلاغة ص 113

[20] الخصائص 330/1 و393/2، والإنصاف 431/2، وإعراب البيت: بهجتها: مضاف إليه، قفرا: خبر أصبحت، قلماً: اسم كأنَّ، رسومها: مفعول به للفعل الماضي خطَّ، وجملة خطَّ في محل رفع خبر كأنَّ، وترتيب البيت: فأصبحت قفرا بعد بهجتها كأن قلما خطَّ رسومها.

[21] انظر: الأشباه والنظائر 340/1

الفوضى. يقول الرضي:" وإذا كان تقديم الخبر يفهم منه معنى لا يفهم بتأخيره = وجب التقديم نحو قولك: تميميٌّ أنا، إذا كان المراد التفاخرَ بتميم، أو غير ذلك مما يُقدَّم له الخبر"[22]. وهذا العدول يكون وفق ضابط مهم، هو الضابط النفسي الذي نص عليه الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهو أن يكون ترتيب الألفاظ في الذكر تبعاً لترتيبها في النفس والفكر[23].

فمن المسلم به أن اللغة عبارة عن وسيلة من وسائل كثيرة للتواصل بين المتكلم والسامع تصحبها مثيرات تصدر عن كلٍّ منهما، ومِن ثَمَّ فدلالاتها لا تنطلق من نفسية المتكلم التي ينبني عليها النص فحسب، بل من تأثير النص على نفسية السامع أيضاً من ناحية اختيار الألفاظ وترتيبها وبناء الكلمات والتراكيب، ولا شكَّ أنَّ نظم الكلام في حال الرضا والسكينة يصدر عن رويَّةٍ وتأنٍ وينساب بهدوء ورقة، بخلاف نظمه في حال الغضب والهيجان، إذ يأتي مبعثراً أو فيه اضطراب، ونبرتُه مختلفة عن نبرته في حال السكينة، وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدلُّ على الحالة النفسية للمتكلم، وعلى هذا يتخرج أمر التقديم، فالمتكلم يقدِّم أو يؤخر ما تمليه عليه نفسه، ولذلك يرتقي الشعر المطبوع على الشعر المصنوع لما له من دلالة ظاهرة تؤيد هذا الأمر. تأمل قوله تعالى على لسان الكافرين:﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾{الأنبياء 5/21} تدركْ لماذا جاء هذا الكلام مشتملاً على الإضراب عن المعنى الذي يسبقه ؟ مما يدل على نفسية الكافرين واضطرابها الناشئ عن عدم قناعتهم بما يتفوهون به[24]، وهذا الذي أكده علم النفس الحديث قد أدركه هذا عبد القاهر وبنى عليه نظريته في النظم حيث يقول:" ...وأنَّ الكلمَ تترتَّبُ في النُّطقِ بسبب ترتُّبِ معانيها في النَّفس، وأنّها لو خَلَتْ من معانيها حتى تتجرَّدَ أصواتاً وأصداءَ حروفٍ لما وقَع في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ أن يجبَ فيها ترتيبٌ ونظمٌ، وأن يُجعلَ لها أمكنةٌ ومنازلُ، وأنْ يجبَ النُّطق بهذه قبل النطق بتلك"[25]. وترتب هذه المعاني في نفس العربي وفكره ظهر بلسانه في هذه الرتب التي استنبطها النحاة من كلامهم والتي يمكن تقسيمها أربعة أقسام:

1- الرتبة المحفوظة لفظاً ونيةً

---

[22] شرح الكافية 263/1

[23] وقد ألح على ذلك عبد القاهر وتمسك به وكرّره كثيرا ليتقرر في ذهن قارئ كتابه. انظر: دلائل الإعجاز ص 49 و52-54 و56 و 373

[24] التعبير القرآني والدلالة النفسية ص 62

[25] دلائل الإعجاز ص 55-56

وهي التي لا يتصرف فيها بتقديم أو تأخير، من ذلك كون رتبة الفاعل ونائبه بعد الفعل، ولا يتقدمان عليه كيلا تلتبس الجملة الفعلية بالاسمية.

2- الرتبة المحفوظة لفظاً غير المحفوظة نيةً

وهذه تشمل ألفاظ الصدارة التي تحتفظ بتقدمها على معمولها، كأسماء الشرط والاستفهام الواقعة غير مبتدأ. فلزومها صدرَ الجملة إنما هو لمنع اللبس ولدفع ما يمكن أن يشوش ذهن السامع أو يوهمه. قال الرضي:" وإنما كان للشرط والاستفهام والعرض والتمني ونحو ذلك ممَّا يُغيّرُ معنى الكلام = مرتبةُ التصدُّر؛ لأنَّ السامع يبني الذي لم يصدَّر بالمغيِّر = على أصله، فلو جوّز أن يجيء بعده ما يغيّره = لم يدرِ السامع إذا سمع بذلك المغيِّر: أهو راجع إلى ما قبله بالتغيير، أو مغيِّر لِمَا سيجيء بعده من الكلام، فيتشوش لذلك ذهنه"[26].وكذلك فإن تقديمها إنما كان لإفادة معنى الاستفهام أو الشرط فيها، يقول ابن يعيش:" إن الاستفهام له صدر الكلام من قبل أنه حرف دخل على جملة تامة خبرية، فنقلها من الخبر إلى الاستخبار، فوجب أن يكون متقدماً عليها ليفيد ذلك المعنى فيها، كما كانت "ما" النافية كذلك حيث دخلت على جملة إيجابية، فنقلت معناها إلى السلب، فكما لا يتقدم على "ما" ما كان من جملة النفي، كذلك لا يتقدم على الهمزة شيء من الجملة المستفهم عنها، فلا تقول: ضربتُ أزيداً؟ هكذا مثَّل صاحب الكتاب[27]، والجيِّدُ أن تقول: ضربت أزيداً ؟ فتقدِّم المعمول على الهمزة؛ لأنك إذا قدمت شيئاً من الجملة خرج عن حكم الاستفهام"[28]. وتقديم ألفاظ الاستفهام يظل ضمن دائرة الأصل في معنى التقديم الذي هو الاهتمام والعناية[29]، وقد جاءت العناية والاهتمام بتقديمه من جهة كونه طلباً، والطلب مما يهمُّ السامع ويعنيه. يقول السكاكي:" وإذ قد عرفت أن هذه الكلمات للاستفهام، وعرفت أن الاستفهام طلب، وليس يخفى أن الطلب إنما يكون لِمَا يهمُّك ويعنيك شأنُه، لا لِمَا وجودُه وعدمُه عندك بمنزلة، وقد سبق أن كون الشيء مهماً جهةٌ مستدعيةٌ لتقديمه في الكلام"[30].

---

[26] شرح الكافية 257/1

[27] يريد الزمخشري لا سيبويه.

[28] شرح المفصل 155/8

[29] يقول عبد القاهر مؤتماً بإمام النحاة سيبويه:" واعلمْ أنَّا لم نجدْهُم اعْتَمدوا فيه شيئاً يَجري مَجرى الأصل غيرَ العنايةِ والاهتمام. قال صاحبُ الكتاب وهو يذكرُ الفاعلَ والمفعولَ:" كأنَّهم يقدمون الذي بيانُه أهمُّ لهم، وهم بشأنِهِ أعْنَى، وإن كانا جميعاً يُهمَّانِهم ويَعْنيانِهم". انظر: الكتاب 34/1، ودلائل الإعجاز ص 107

[30] مفتاح العلوم ص 427

3- الرتبة المحفوظة نيةً غير المحفوظة لفظاً

وهي التي تعطي التراكيب مرونة وحرية في التقديم والتأخير ضمن ضوابط محددة لتأدية زوائد معنوية خاصة بحثها أصحاب المعاني، وتشمل كل أحكام الجواز في التقديم، من ذلك تقديم الخبر على المبتدأ، أو أحد المفاعيل على الفاعل. ويمكن تقسيم هذه الرتبة أربعة أقسام:

أ- تقديم العمد على العمد أو على عاملها، كتقديم الخبر على المبتدأ.

ب- تقديم الفضل على العمد، كتقديم المفعول على الفاعل.

ج- تقديم الفضل على عاملها، كتقديم المنصوبات على عاملها.

د- تقديم الفضل على الفضل: ومسائله كثيرة لا يمكن حصرها، والمتكلم يرتبها في كلامه تبعا لترتبها في نفسه، وهذا الترتيب يكون حسب درجة الأهمية فيها بالنسبة للمتكلم والسامع، تأمل قوله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾ {النساء 69/4}= تجد أن الترتيب جاء وفق علو المنازل. وكذلك قوله تعالى:﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ {البقرة 7/2}، فقد جاء الترتيب حسب الأهمية. كذلك فإن في مخالفة الرتبة تنبيها للسامع، وتشويقا للمتأخر، وقد حاول الزركشي والسيوطي وضع بعض الضوابط لذلك في القرآن الكريم[31].

4- الرتبة المشوهة أو الملبسة

وهي التي اختل فيها شرط الفصاحة، واتجه الكلام فيها إلى المعاضلة والتعقيد. وأكثر ما يكون من خلال الفصل بالمفرد، وهو رديء غالباً، ومن التعقيد اللفظي بمكان، وحقيقته عدم ترتيب الألفاظ في الذكر وفق ترتيب المعاني في الفكر، وإنما بتكلف مقصود على نحو يفسد نظم الكلام ويجعله ملبساً لِمَا فيه من التداخل والتقديم والتأخير حتى يبدو وكأنه لوحة مشوهة مفسَدة؛ ولو تركت النفس تسترسل على سجيتها لَمَا عرض للتركيب مثلُ هذا التعقيد الذي يشبه الإلغاز[32]، ولَمَا جعله حتى يبين ويوضح يحتاج إلى

---

[31] البرهان 3/239-274، والإتقان ص 446-451، والتعبير القرآني ص 51 وما بعدها.

[32] يقول ابن الأثير:" فإذا ترك مؤلِّفُ الكلام نفسَه تجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيءٌ من هذا التعقيد، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدومٌ في هذا الضرب المشار إليه، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد". المثل السائر 28/2

إعادة ترتيبِ أوضاعها، وهندسةِ بنائها، والعدولِ إلى الأصل ولو كان فيه ثقل[33]. يقول عبد القاهر معلقاً على قول للفرزدق آتٍ ذكرُه:" فانظر: أيتصور أن يكون ذمه للفظه من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه، أو صادفت وحشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا، أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر، فكدّ وكدّر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام وإبعاد المرام، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة، ولكن بعد أن يراجع فيها باب من الهندسة لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة ما خالف بين أوضاعها"[34]. وقال العتابي:" الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّراً، أو أخَّرت منها مقدّما أفسدتَ الصورة وغيّرتْ المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يدٌ إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحلية"[35]. ومن ذلك قول الشاعر[36]:

فقد- والشكُّ- بيّنَ لي- عناءٌ بوشكِ فراقهم صُرَدٌ يصيحُ

فقد اعترض بين "قد" والفعل "بيّن" بالمبتدأ "الشك"، كما فصل بين المبتدأ والخبر "عناء" بالفعل "بيَّن"، كما فصل بين الفعل "بيَّن" وفاعله "صرد". يقول ابن الأثير: فإن في هذا البيت ما أذكره لك... فجاء معنى البيت كما تراه كأنَّه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها إلى مكان بعض"[37]. ومثله قول الآخر[38]:

نظرتُ وشخصي مطلعَ الشمسِ ظلُّه إلى الغرب حتَّى ظلُّه الشمسَ قد عقلْ

- فصلَ بين الفعل ومفعوله "نظرت مطلع" بالمبتدأ "شخصي".

- فصلَ بين المبتدأ والخبر "شخصي ظلُّه إلى الغرب" بـ"مطلع الشمس".

وهذا الفصل بين المتلازمات بالأجنبي مما يفسد المعاني ويورثها اختلالا واضطراباً. وغيرُ بعيد قولُ الفرزدق[39]:

إلى ملكٍ ما أمُّه من محارب أبوها، ولا كانت كليبٌ تصاهرُه[40]

---

33 انظر: شرح المفصل 122/10

34 أسرار البلاغة ص 20 -21

35 الصناعتين 52/1

36 الخصائص 330/1 و290/2، والمثل السائر 168/2

37 المثل السائر 168/2

38 الخصائص 400/2، والمثل السائر 169/2

39 ديوان الفرزدق ص 250، و الخصائص 394/2

40 أبوه مبتدأ، ما: نافية، أمه مبتدأ، من محارب: جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف، وجملة ما أمه من محارب خبر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله[41]:

وما مثلُهُ في الناس إلا مملَّكا أبو أمِّه حيٌّ أبوه يقاربُه[42]

وقول آخر[43]:

فأصبحتْ بعدَ خطِّ بهجتها كأنَّ قفراً رسومَها قلمَا

يقول ابن الأثير معلقاً على المعاضلة في البيت الأخير:" وهذا البيت المشار إليه من أقبحها؛ لأن معانيه قد تداخلت، وركب بعضها بعضاً"[44].

ويلحق بهذه الرتبة الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفرد نحو قراءة ﴿قَتْلَ أَوْلاَدَهمْ شُرَكَآئهمْ﴾{الأنعام 137/6}،﴿مُخْلِفَ وَعْدَه رُسُلِه﴾{إبراهيم 47/14}، وخرجه السكاكي على الحذف[45].

خاتمة

تتضمن نتائج البحث التي يمكن إجمالها بالآتي:

1. أمن اللبس ضابط مهم إن لم يكن أهم الضوابط التي كانت نصب أعين النحاة في استنباط الأحكام وتقريرها.
2. لمَّا كان هدف اللغة التعبير عن الأغراض الخاصة اشترط النحاة فيها أن يؤمن اللبس؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح وسيلة للتفاهم والتخاطب مع الآخرين.
3. ثمة قرائن كثيرة تزيل اللبس وتمنع وقوعه، منها الإعراب والرتبة النحوية والحذف والزيادة وغير ذلك.
4. يجوز العدول عن الإعراب أو الرتبة النحوية وغيرهما عند أمن اللبس، ويلتزم به عند الخشية من الوقوع فيه، كما تخالف الرتبة إذا كان في مجيئها على الأصل خشية من وقوعه أيضاً كما في قولنا: في القاعة طالبٌ.

المبتدأ "أبوه"، وجملة "أبوه ما أمه من محارب" في محل جر صفة لملك.

[41] للفرزدق وليس في ديوانه، والخصائص 146/1 و329 و393/2

[42] ما: نافية لا عمل لها، مثله: مبتدأ خبره "في الناس"، حيٌّ: بدل مرفوع، إلا: أداة استثناء، مملكا: مستثنى ، أبو أمه: مبتدأ ومضاف إليه، أبوه: خبر، وجملة "يقاربه" في محل رفع صفة لـ"حي". وترتيب البيت: ما مثله في الناس حي يقاربه أبو أمه أبوه إلا مملكا.

[43] الخصائص 330/1 و393/2، والإنصاف 431/2

[44] المثل السائر 27/2

[45] مفتاح العلوم ص 205

شبكة الألوكة - قسم الكتب

5. يظهر أثر أمن اللبس على الرتبة النحوية في ثلاثة أمور: المحافظة عليها عند خشية اللبس، والعدول عنها عند أمن اللبس، وتشويهها عند وقوع اللبس.
6. من ضوابط أمن اللبس المهمة في التقديم والتأخير الضابط النفسي، وهو أن الألفاظ تترتب في الذكر بعد ترتب المعاني في النفس والفكر.
7. الرتبة النحوية يضبطها أمن اللبس بأربعة أنواع: هي الرتبة المحفوظة لفظاً ونية، والرتبة المحفوظة لفظاً غير المحفوظة نية، والرتبة المحفوظة نية غير المحفوظة لفظاً، والرتبة الملبسة.

المصادر والمراجع

الأشباه والنظائر في النحو: للسيوطي، دار الكتب العلمية ببيروت، د.ط.ت.

الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى، دار الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2008م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان القرطبي، تح: د. رجب عثمان محمد، ط1، 1998م.

أسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.ط.

الإنصاف في مسائل الخلاف: لأبي البركات ابن الأنباري (577هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات جامعة البعث 1989 م.

البرهان في علوم القرآن: للزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ببيروت، د.ط.ت.

التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن (نسخة مصورة)، د.ط.ت.

التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. محمد عبد الله الجيوسي، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 2006م.

الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار ، منشورات دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت، الطبعة الثانية، د.ت.

دلائل الإعجاز: لبعد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، د.ط.ت.

ديوان العجاج (رواية الأصمعي وشرحه)، تح: د.عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، د.ط.ت.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط 20، 1980م.

شرح الكافية: للرضي، تح: حسن يوسف عمر، جامعة قار يونس، 1978م.

شرح الكافية الشافية: لابن مالك (672هـ)، تح:عبد المنعم هريدي، منشورات جامعة أم القرى، د.ط.ت.

شرح المفصل: لابن يعيش 643هـ، عالم الكتب ببيروت، ومكتبة المتنبي بالقاهرة، د.ط.ت.

شعر الأخطل التغلبي: صنعة السكري، تح: د.فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ببيروت ط2 1979م.

الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1952م.

غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب: للأنطاكي، تح: محمد خالد الرهاوي، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2007م.

الكتاب: سيبويه، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت ، د. ط.ت.

اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

المثل السائر: ابن الأثير، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 2000م.

معاني القرآن: للأخفش، تح: د.هدى قُرَّاعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1 1990 م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، مؤسسة الصادق تهران، ط1، 1378هـ.

مفتاح العلوم للسكاكي 626 هـ، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط1 2000م.

هذا الكتاب منشور في